الهيئة العالمية للكتاب والسنة

الوسطية والاعتدال

في ضوء الكتاب والسنة

الدكتور محمد مصطفى أحمد شعيب

الوسطية والاعتدال

في ضوء الكتاب والسنَّة

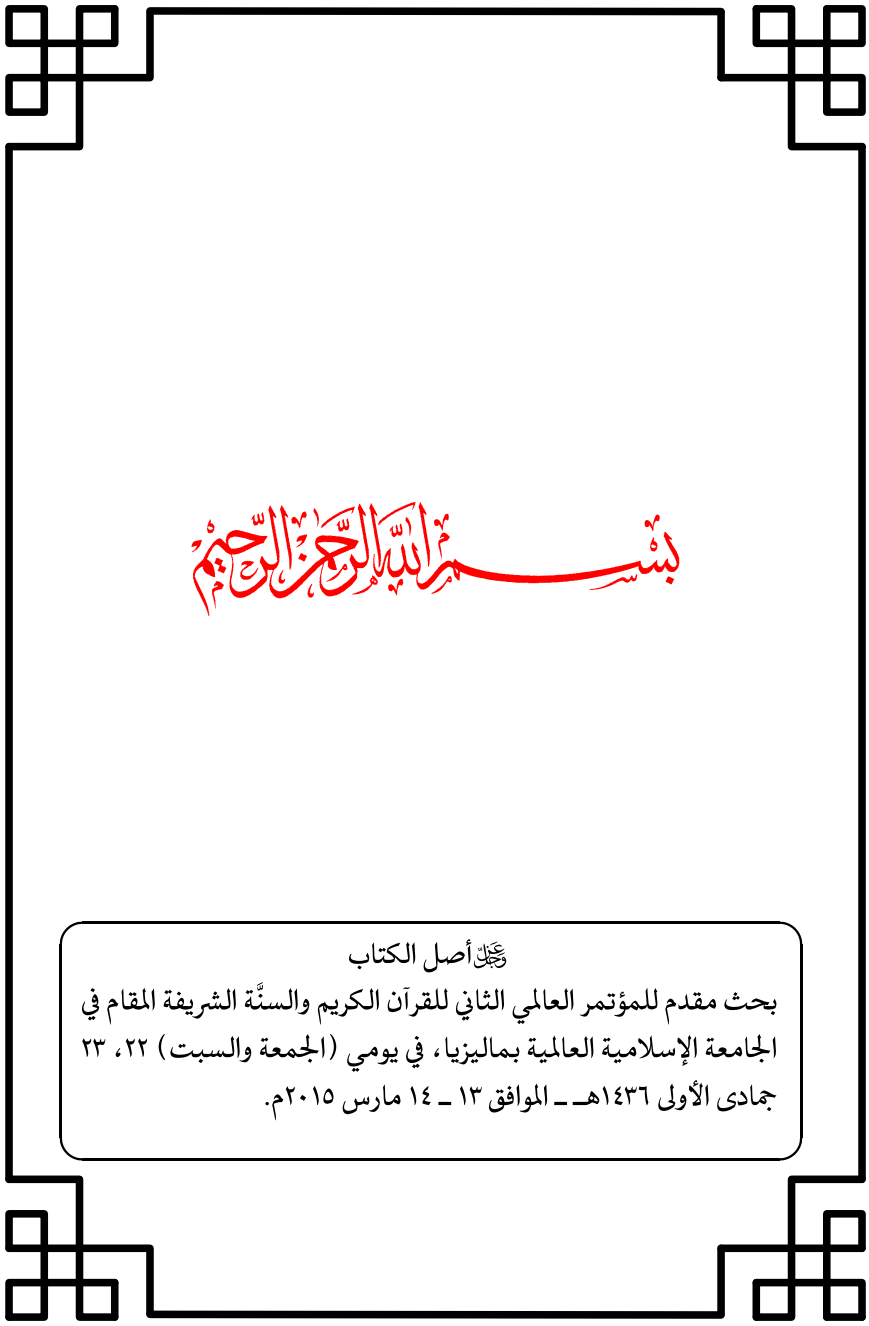

بسم الله الرحمن الرحيم

ﷻ أصل الكتاب

بحث مقدم للمؤتمر العالمي الثاني للقرآن الكريم والسنَّة الشريفة المقام في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، في يومي (الجمعة والسبت) ٢٢، ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ ـ الموافق ١٣ ـ ١٤ مارس ٢٠١٥م.

الوسطية والاعتدال

في ضوء الكتاب والسنَّة

إعداد:
الدكتور محمد مصطفى أحمد شعيب

ⓒ محمد مصطفى أحمد شعيب، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

شعيب، محمد مصطفى أحمد

الوسطية والاعتدال في ضوء الكتاب والسنة. / محمد مصطفى.

أحمد شعيب - جدة، ١٤٣٩هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك: ٤-٦٧٣٥-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١ - الوسطية في الإسلام أ. العنوان

ديوي: ٢١١ ١٤٣٩/٥٥٥٥

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٥٥٥٥

ردمك: ٤-٦٧٣٥-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

لقد مَنَّ الله على أمة الإسلام فجعلها خيرَ الأُمم، وآتاها من المناهج والشرائع خيرها وأبقاها، فكانت هي الأمة الوسط من بين الأُمم.

قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وجاءَت النصوص الكثيرة في كتاب الله، وسنَّة رسوله ﷺ تأمرنا بالاستقامة على هذا المنهج الوسط، والذي لا انحراف فيه ولا شطط، وتنهانا عن الغلو فيه، أو الجنوح عنه لسواه.

وفي عصرنا الحاضر فشَتْ ظاهرةُ الغلو في الدين، والفهمُ السقيم لنصوصه وتعاليمه، وتطاير شررُ ذلك هنا وهناك،

واستفحل خطره وضرره على المجتمعات، بل على الأمة الإسلامية كلها، فكان لزاماً على رجالاتِ الأمة كلهم؛ علماءَ ودعاةً، ومفكرين وأُدباء، وأئمةً وخطباءَ، ومعلمين ومربين؛ أن يبينوا للأمة ـ وللناس جميعاً ـ سماحة هذا الدين، ووسطيته واعتداله، كما ينبغي عليهم دراسة ظاهرة الغلو والتشدد، ومعرفة أسبابها ودوافعها؛ ثم المشاركة في علاجها وقلع جذورها، أو الحدِّ منها والتخفيف من آثارها ـ على أقل تقدير ـ.

وهذا يُظهر بجلاء أهمية هذا البحث؛ فالبحث يعدُّ مُساهمة في إبراز وسطية الشريعة الإسلامية واعتدالها، والحث على الوسطية والاعتدال، كما أنه يهدف لعلاج ظاهرتي الغلو والتفريط؛ ومن ثم تحقيق الوسطية التي رغب الشرع فيها وحث عليها.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة.

فأما المقدمة فبيّنت فيها أهمية الموضوع وخطتي فيه على سبيل الإجمال والاختصار.

وبينتُ في **التمهيد**: ماهية الوسطية والاعتدال.

وفي **المبحث الأول**: دعوة النصوص الشرعية إلى الوسطية والاعتدال.

والمبحث الثاني: بعض مظاهر الوسطية والاعتدال في الإسلام.

والمبحث الثالث: أسباب الغلو والتفريط ومعالجتها.

وبيّنت في الخاتمة أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد

ماهية الوسطية والاعتدال

المطلب الأول:
معنى الوسطية لغة وشرعاً

الوسطية لغةً: الوسطية مأخوذة من مادة وسط، وهى تدل على العدل، والخيرية، والفضل، والنصف، والتوسط بين الطرفين؛ يقول ابن فارس: «(وسط) الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه»(١).

ويقول ابن منظور: (وَسَطُ الشيءِ وأَوْسَطُه: أَعْدَلُه... وقيل في صفة النبي ﷺ: «إنه كان من أوسَطِ قومه: أي خيارِهِم»)(٢).

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» للإمام أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (١٠٨/٦).

(٢) «لسان العرب» للإمام محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ (٤٣٠/٧).

والوسطية شرعاً: الخيرية والعدالة، والتوسط بين الإفراط والتفريط؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[(١)]، أي: عدلاً، وبهذا المعنى فسَّرها النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري فقال: «**الوسط: العدل**»[(٢)].

وقال الإمام ابن جرير الطبري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «الله تعالى ذكره

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٧) (٦/٢١) كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ وتمام الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ**: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط: العدل»؛ «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري» لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، ١٤٢٢هـ.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/١٧٢): «هو مرفوع من نفس الخبر وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم، وسيأتي في الاعتصام بلفظ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدلاً [رواه البخاري (٧٣٤٩) (٩/١٠٧) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾]»؛ «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، وإشراف محب الدين الخطيب، وتعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

إنما وصفهم بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه؛ تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءَهم وكذبوا على ربهم وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[(١)].

وتأتي الوسطية مقابل الغلو والإفراط والجفاء والتفريط، وهي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة.

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني:
الاعتدال لغةً وشرعاً:

الاعتدال لغة: الحكم بالعدل، والاستقامة، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط. جاء في «الصحاح»: «العدل: خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل»[(٢)].

---

(١) «تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للإمام محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م (٢/٦٢٦، ٦٢٧).

(٢) «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م (٥/١٧٦٠).

وفي «مقاييس اللغة»: «(عدل) العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج؛ فالأول العدل من الناس: المرضي المستوي الطريقة، يقال: هذا عدل... والمشرك يعدل بربه ـ تعالى عن قولهم علواً كبيراً ـ كأنه يُسوِّي به غيره.

والعدل: نقيض الجور، تقول: عدل في رعيته، ويوم معتدل، إذا تساوى حالاً حره وبرده»[(١)].

وفي «القاموس المحيط»: «الاعتدال: توسط حال بين حالين في كمٍّ أو كيفٍ، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عَدَلْتَهُ وعَدَّلْتَه، يَعْدِلُ عَدْلاً وعُدولاً: حاد»[(٢)].

والاعتدال شرعاً: التزام المنهج العدل الوسط بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء.

فالاعتدال هو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية، وهو بهذا يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٣)].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٤/٢٤٧).

(٢) «القاموس المحيط» لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م (ص ١٠٣٠).

(٣) البقرة: ١٤٣.

المبحث الأول:

دعوة النصوص الشرعية إلى الوسطية والاعتدال

عندما نتأمل النصوص الشرعية نجدها مليئة بالدعوة إلى الوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو والجفاء، والحث على القصد وملازمة الاستقامة، وسوف أقتصر على أبرز هذه النصوص:

المطلب الأول:
بعض نصوص القرآن في الوسطية

* قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]؛ أي: عدولاً خياراً، وقد فسرها بذلك النبي ﷺ[2].

قال الإمام ابن كثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ واخترناها لكم؛ لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) تقدم الحديث بتمامه وتخريجه (ص ٨)، وانظر أيضاً: كلام الإمام الطبري في تفسير الآية، وقد تقدم (ص ٩).

لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطاً في قومه، أي: أشرفهم نسباً، ومنه الصلاة الوسطى، التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر، كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولمَّا جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾[١]»[٢].

* وقد وصف الله هذه الأمة في موضع آخر بالخيرية، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[٣]، فأمة الإسلام أمة وسط: عدل خيار؛ بلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

* وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾[٤]، أمر الله سبحانه بالتوسط في الدعاء والقراءة

(١) الحج: ٧٨.

(٢) «تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير» لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١/٤٥٤).

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) الإسراء: ١١٠.

الجهرية دون الجهر وعلو الصوت، وفوق المخافتة والسرِّ، وهذا مظهر من مظاهر التوسط في العبادة.

عن ابن عباس ﷺ قال: «نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ مخْتَف بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سَبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسُبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تُسمِعهم ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ بقول: بين الجهر والمخافتة»(١).

والمراد بالصلاة: القراءة التي هي أَحد أركانها، ويُروى أَن أَبا بكر ﷺ كان إذا صلى بالليل خفض صوته جِدًّا ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وكان عمر ﷺ إذا صلَّى بالليل رفع صوته، ويقول: أَطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فلما أَنزل الله هذه الآية قال النبي ﷺ لأبي بكر: «**ارفع من صوتك شيئاً**»، وقال لعمر: «**أخفض من صوتك شيئاً**»(٢).

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾(٣)، أي: ولا تمسك يدك عن النفقة في الحقِّ كالمغلولة يده لا يقدر على مدها، ﴿وَلَا

(١) رواه البخاري (٤٧٢٢) (٦/٨٧) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومسلم (٤٤٦) (١/٣٢٩) كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار، إذا خاف من الجهر مفسدة.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/١٣٢).

(٣) الإسراء: ٢٩.

﴿تَبْسُطْهَا﴾ بالعطاء ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ فتعطي جميع ما عندك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ يلومك سائلوك بالبخل والإمساك إذا لم تعطهم، و«الملوم»: الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلومه غيره ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعاً بك لا شيء عندك تنفقه، قال قتادة: ﴿مَّحْسُورًا﴾ نادماً على ما فرط منك[(١)].

* وقال جَلَّ وعلا في وصف عباد الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[(٢)]، قال الإمام ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيُقصرِّون في حقِّهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾»[(٣)].

ففي هذه الآيات دعوة إلى التوسط في الإنفاق، وعدم الإسراف والبذخ، أو البخل والتقتير، وإنما الاعتدال والتوسط.

* ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[(٤)].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي» لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م (٥/٩٠).

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/١٢٤).

(٤) الأعراف: ٣١، ٣٢.

فالمسلم مطالب بأخذ زينته عند كل مسجد، ووقت الاستعداد لكل صلاة، ومباحٌ له أن يأكل ويشرب ويستمتع بمتع الحياة التي أحلها الله تعالى له، لكنه مع هذا مأمورٌ بالتوسط والاعتدال في ذلك كله؛ فتحريم الطيبات غلو في التزهّد، والإسراف والتبذير غلو في الاستمتاع بمتع الدنيا وملذاتها، والصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به؛ هو التوسط بينهما، والاعتدال في الإنفاق والاستمتاع بمتع الحياة مما أحله الله جل وعلا.

* ومن الأدلة على الوسطية والاعتدال أيضاً: قول الله جل وعلا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤].

ففي هذه الآيات بيان أن ديننا دين يسر، لا حرج علينا فيه، وأن الله يريد أن يخفف عنا، وهذا اليسر والتخفيف ونفي الحرج دلالة على أن ديننا دين وسطية واعتدال، فإنَّ الغلو والتشدد ليس من الإسلام في شيء، والتوسط هو سمة الدين ومنهاجه، وهو الذي يتحقق به التيسير والتخفيف ورفع الحرج عن المكلفين.

---

(١) البقرة: ١٨٥.
(٢) النساء: ٢٨.
(٣) المائدة: ٦.
(٤) الحج: ٧٨.

المطلب الثاني:
بعض نصوص السنة في الوسطية

ومما ورد في السنة النبوية من الأدلة على الوسطية والاعتدال:

* حديث أنس بن مالك ﷺ، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

والحديث دليل على أن التشدد في العبادة ليس من سنَّة النبي ﷺ ولا طريقته، فسنَّته هي التوسط والاعتدال.

جاء في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: في شرح قوله ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»: (المراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) (٢/٧) كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم (١٤٠١) (١٠٢٠/٢) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه؛ «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم» لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة، فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل، وقوله: «فليس مني» إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه، فمعنى: «فليس مني» أي: على طريقتي، ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، فمعنى: «فليس مني»: ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر.

وقال الطبري: «فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة والملابس، وآثر غليظ الثياب وخشن المأكل».

... والحق أن ملازمة استعمال الطيبات تفضي إلى الترفه والبطر، ولا يأمن من الوقوع في الشبهات؛ لأن من اعتاد ذلك قد لا يجده أحياناً، فلا يستطيع الانتقال عنه فيقع في المحظور كما أن منع تناول ذلك أحياناً يفضي إلى التنطع المنهي عنه، ويردُّ عليه صريح قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[1].

كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها، وملازمة الاقتصار على الفرائض ـ مثلاً ـ وترك التنفل يفضي إلى إيثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة، وخير الأمور الوسط)[2].

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) انظر: «فتح الباري» (٩/١٠٥، ١٠٦).

* وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك الْمُتَنَطِّعُون، هلك الْمُتَنَطِّعُون، هلك الْمُتَنَطِّعُون**»[(١)].

والمتنطعون هم: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

قال الإمام الحسين بن عبدالله الطيبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «أراد بهم المتعمقين الغالين في خوضهم فيما لا يعنيهم من الكلام، والأصل في المتنطع الذي يتكلم بأقصى حلقه... وإنما ردَّد القول ثلاثاً تهويلاً وتنبيهاً على ما فيه من الغائلة، وتحريضاً على التيقظ والتبصر دونه»[(٢)].

والحديث وإن كان خبراً عن حال المتنطعين، إلا أنه في معنى النهي عن التنطع، وفيه دلالة على أن التوسط والاعتدال هو سبيل النجاة من الهلاك؛ فإنه عندما ذمَّ التنطُّع والمغالاة، فقد دلَّ على أنَّ المطلوب هو الاعتدال والتوسط.

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله، ألم أُخْبَر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل**؟»، فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «**فلا تفعل، صُم وأَفطر، وقُم ونَم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك**

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠) (٤/٢٠٥٥) كتاب العلم، باب هلك المتنطعون.

(٢) يُنظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ «الكاشف عن حقائق السنن» لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، والرياض، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م (١٠/٣٠٩٨).

حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لِزَوْرِكَ عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كلَّ شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله»، فشدَّدتُ، فشُدِّد عليَّ، قلت: يا رسول الله، إني أجد قوة، قال: «فصم صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه»، قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام؟ قال: «نصف الدهر»، فكان عبدالله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسرٌ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوةِ والرَّوْحَةِ وشيءٍ من الدُّلجَة»[2].

ومعنى (يُشادَّ الدين) يُكلِّفُ نفسه من العبادة فوق طاقته، والمشادة المغالبة، ولهذا قال: (إلا غلبه) والمعنى: لا يتشدد أحد ويغالي في العمل ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغْلَب، (فسدِّدوا) أي: الزموا السداد، وهو التوسط في العمل من غير إفراط ولا تفريط، و(قاربوا) أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه، (وأبشروا) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم

(١) رواه البخاري (١٩٧٥) (٣٩/٣) كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ومسلم (١١٥٩) (٨١٣/٢) كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.

(٢) رواه البخاري (٣٩) (١٦/١) كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

المبشَّر به تعظيماً له وتفخيماً، (**واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**) استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل، فـ(**الغدوة**): سير أول النهار، وقال الجوهري ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، و(**الرَّوْحَة**): السير بعد الزوال، و(**الدُّلجة**): سير آخر الليل، وقيل: سير الليل كله، ولهذا عبَّر فيه بالتبعيض؛ ولأنَّ عمل الليل أشق من عمل النهار، وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر، وكأنه ﷺ خاطب مسافراً إلى مقصدٍ فنبهه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع، وإذا تحرَّى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة، وحُسْنُ هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة[(١)].

والحديث نصٌ في أن الدين يسر، وأن خير الأمور ما كان قصداً وسطاً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط[(٢)].

---

(١) انظر: «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (١/ ٩٤، ٩٥).

(٢) وهناك عشرات النصوص الأخرى الدالة على الوسطية والاعتدال ـ مثل قوله ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»، رواه البخاري في صحيحه معلقاً (١/ ١٦) كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وقوله ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**» رواه البخاري (٦٩) (١/ ٢٥) كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ومسلم (١٧٣٤) (٣/ ١٣٥٩) كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، وقوله ﷺ: «**عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا**» رواه مسلم (٧٨٢) (١/ ٥٤٠) كتاب صلاة=

ولأجل هذه النصوص الواردة في الوسطية، والمرغبة فيها، والداعية إليها، حرص السلف على التزام المنهج الوسط، وهو منهج أهل السنة والجماعة، حيث أنهم وسط بين المذاهب والفرق كما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «فإن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ: يؤمنون بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم»[(١)].

= المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ـ لكن البحث مطلوب بصفحات محددة، ولذا فإنني أقتصر على ما تقدم بيانه، واللبيب تكفيه الإشارة.

(١) «مجموع الفتاوى» لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م (١٦٨/٣).

المبحث الثاني:

بعض مظاهر الوسطية والاعتدال في الإسلام

مظاهر الوسطية في الإسلام كثيرة ومتشعبة في كل شعائره وشرائعه وعقائده، فالإسلام كله وسطية واعتدال، وهو دين السماحة واليسر، وكيف لا يكون الإسلام كذلك وهو دين الله تعالى الخاتم.

يقول الإمام الشاطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «إن الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه»[(١)].

وقال أيضاً: «فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلاً إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر؛ فطرف التشديد ـ وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر ـ يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين، وطرف

(١) «الموافقات» لإبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط ١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م (٢/٢٧٩).

التخفيف ـ وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص ـ يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد.

فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه»[(١)].

فمظاهر الوسطية والاعتدال في الإسلام تتجلى في كافة أحكامه وتشريعاته، وما أذكره هنا هو مجرد تمثيل على تلك المظاهر، وليس حصراً لها؛ فمن مظاهر الوسطية في الإسلام:

المطلب الأول:
الوسطية في مجال الاعتقاد

ـ **الإسلام وسط بين الملل والنحل**، فهو دين التوحيد الخالص لله جل وعلا، ليس إلحاداً وإنكاراً للذات الإلهية ـ عياذاً بالله تعالى ـ، وليس شركاً ووثنيةً وعبادةً لغير الله مع الله ـ عياذاً بالله تعالى ـ، بل عبودية خالصة لله وحده، وتوحيد كامل له في ربوبيته وألوهيته.

ـ **والإسلام وسط في باب النبوة**: فلا غلو فيهم كما فعلت النصارى عندما اتخذوهم أرباباً من دون الله، ولا جفاء كما جفت اليهود؛ ففريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، بل يدعو الإسلام أتباعه من المسلمين إلى الإيمان بجميع الرسل ومحبتهم والصلاة عليهم، واتباع خاتمهم محمد ﷺ.

---

(١) «الموافقات» (٢/٢٨٦).

ـ والإسلام يطالب بالإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبجميع ما أتو به من كتب من عند الله تعالى، ولا يفرق بين أحد من الرسل، بخلاف اليهود الذين ينكرون نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام، وبخلاف النصارى الذين ينكرون نبوة نبينا محمد ﷺ؛ أما الإسلام فهو وسط معتدل يؤمن بجميع رسل الله تعالى، ولا يفرق بينهم، قال الله جل وعلا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾[2].

المطلب الثاني:
الوسطية في مجال العبادة

ـ فيراعي الإسلام مقتضيات الفطرة، ويجمع بين متطلبات الروح والجسد جميعاً، فلا غلو في جانب الروح على حساب الجسد، ولا غلو في جانب المادة والجسد على حساب الروح، لا رهبانية مفرطة كما هو الشأن عند رهبان النصارى وغيرهم ممن هو مثلهم، ولا مادية مقيتة كما هو الشأن عند غالبية اليهود ومن نحا نحوهم من أمم الشرق أو الغرب، وإنما وسطية تجمع متطلبات الروح والجسد جميعاً، وسطية تزكي المشاعر وتهذب

(١) البقرة: ١٣٦.
(٢) النساء: ١٥٢.

الضمائر، وتسمو بالتفكير والشعور، وتوازن بين متطلبات الفرد والمجتمع، وإعمال العقل والعاطفة، في تربيةٍ متوازنة وتنسيق متسق بديع.

إنَّ الإسلام متميزٌ بوسطيته واعتداله في عباداته ـ كما في عقائده ومعاملاته وأخلاقه وسلوكياته وسائر تشريعاته ـ، إنه يعلِّم أتباعه كيف يحققون التوازن بين متطلبات الروح والجسد؛ على غرار قول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[(١)]، وقد ردَّ النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل[(٢)]، وأنكر على من حرم نفسه طيبات الدنيا من النكاح والأكل والشرب والنوم بالليل، قائلاً: «**أما إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(٣)]، وتقدم قوله ﷺ: «**هلك المتنطعون**»[(٤)]، وقوله ﷺ: «**فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لِزَوْرِكَ عليك حقاً**»[(٥)]، كما تقدمت نصوص أخرى في المعنى ذاته[(٦)].

---

(١) القصص: ٧٧.

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٣) (٤/٧) كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، ومسلم (١٤٠٢) (١٠٢٠/٢) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه.

(٣) تقدم تخريجه: (ص: ١٦).

(٤) تقدم تخريجه: (ص: ١٨).

(٥) تقدم تخريجه: (ص: ١٩).

(٦) انظر: (ص: ١٩ ـ ٢٠).

وهذه الوسطية في الجمع بين متطلبات الروح والجسد لا توجد في أي ديانة أخرى غير الإسلام، فها هو العالم اليوم يعيش حالة من الفوضى والغرق في متع الحياة المادية الصِّرْفة، ومن نأى بنفسه عن تلك المادية المفرطة وقع أسير الرهبانية المبتدعة الذميمة، التي قتلت كل شيء جميل في حياة الإنسان، وأصبح عقلاء العالم ومنصفوه يبحثون عن دين يحقق التوازن بين الرغبات والتناسق بين المتطلبات، ويرتفع بالبشرية إلى مستوى إنسانيتها، ويحقق لها قيمها ومثلها، وينتشلها مما تعاني منه من بؤس وشقاء وظلم وطغيان، ولم يجدوا ذلك ولن يجدوه إلا في ظل دين الإسلام الحق، الدين الخاتم الذي ارتضاه الله جل وعلا للبشرية جميعاً، والذي تكفل بحفظه وإظهاره ولو كره الكافرون.

قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٤].

❋ ❋ ❋

(١) آل عمران: ١٩.
(٢) آل عمران: ٨٥.
(٣) المائدة: ٣.
(٤) التوبة: ٣٣.

المطلب الثالث:
الوسطية في المجال الاقتصادي

- فقد وازن الإسلام بين حرية الفرد وحرية المجتمع، كما وازن بين الملكية الفردية والملكية العامة للدولة، فهو يقر ملكية الأفراد لأموالهم طالما أنهم ليسوا سفهاء، وطالما أنهم يُؤدُّون حق الله تعالى عليهم فيها، ويقر الملكية العامة للدولة فيما يحقق مصالح الرعية، ولا يتعارض مع ملكية الأشخاص.

بينما نرى في الرأسمالية: حرية اقتصادية مطلقة للفرد في أن يتملك السلع، ووسائل الإنتاج وأدواته، وليس للدولة أن تتدخل في شيء من ذلك بأي وجه كان، بل يتكفّل القانون في المجتمع الرأسمالي بحماية ملكيته الخاصة مهما كان سبيل تحصيله لها.

وترى الاشتراكية: أن الحرية الاقتصادية هي سبب البلاء، وَرَأْسُ الفساد، ومن ثمَّ تعمل الاشتراكية على إلغاء الملكية الخاصة، وتمنع الفرد من الحرية منعاً مُطلقاً، فلا يملك الفرد أيّ حرية في الإنتاج أو الاستثمار.

فجاء الإسلام وسطاً بين رأسمالية تهتم بالفرد على حساب الجماعة، واشتراكية تهتم بمصلحة الجماعة على حساب الفرد، بينما الإسلام يراعي مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة على حد سواء[(١)].

---

(١) انظر: «بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي دراسة مقارنة لأبرز القضايا المالية المعاصرة» للمؤلف، ط١، مجموعة توارث للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ (ص ١٩٨، ١٩٩).

المطلب الرابع:
الوسطية في التعامل مع الناس

ـ فقد جاء الإسلام بالوسطية في التعامل مع الناس حباً وبغضاً، وعدلاً وإنصافاً، فمن الناس من إذا أحب غالى في محبوبه وحاباه وتغاضى عن زلاته وأعطاه، ووقف معه وناصره حتى في ظلمه لغيره، فإذا كرهه ظلمه وعاداه وبخسه حقه، والإسلام وسطٌ عدلٌ في ذلك، فهو يأمرنا بالعدل مع الناس جميعاً حتى وإن أبغضناه وكرهناه، فبغضنا له لا يدفعنا لظلمه، كما أن حبنا له لا يدفعنا لمحاباته وإعطائه ما ليس له.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١].

وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[٢].

بل إن الإسلام نهانا عن الاعتداء على عدونا حتى وهم يمنعوننا حقوقنا، فالواجب رد العدوان والدفاع عن حقوقنا والمطالبة بها لكن بلا تعدي ولا عدوان، وهذا هو قمة العدل والإنصاف، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾[٣].

---

(١) النساء: ١٣٥.
(٢) المائدة: ٨.
(٣) المائدة: ٢.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: «**تأخذ فوق يديه**»(١).

قال الإمام ابن بطال ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «النصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسَّره رسول الله ﷺ أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أداه ذلك إلى أن يُقْتَصَّ منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهذا يدل من باب الحكم للشيء وتسميته بما يَؤُول إليه، وهو من عجيب الفصاحة، ووجيز البلاغة»(٢).

ومعنى (**انصر أخاك**) أي المسلم، والخطاب عام لكل مسلم (**ظالماً**) أي: حال كونه ظالماً لنفسه بفعل ما لا يحل، أو لغيره، ونصرك له بأن تمنعه عن الظلم، لأنك بفعلك ذلك تعينه على دفع العقاب عنه في الآخرة، وفيه أنه يجب على كل مسلم نصر أخيه إذا رآه في منكر، أو مريداً أذية أحد، وهذا مما تساهل فيه الناس. وقوله (**أو مظلوماً**) أي: انصره إن كان مظلوماً، وذلك بإعانته على من ظلمه وتخليصه من يده(٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٤) (١٢٨/٣) كتاب المظالم والغصب، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً.

(٢) «شرح صحيح البخاري» لأبي الحسين ابن بطال، علي بن خلف بن عبدالملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م (٥٧٢/٦).

(٣) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» لأبي إبراهيم محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (المتوفى: ١١٨٢هـ)، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط١، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م (٢٨٣/٤، ٢٨٤).

وعن جابر ﷺ قال: اقتتل غلامان، غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجر أو المهاجرون: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار، فخرج رسول الله ﷺ، فقال: «**ما هذا؟ دعوى أهل الجاهلية**» قالوا: لا يا رسول الله، إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، قال: «**فلا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينْهَه فإنه له نصرٌ، وإن كان مظلوماً فلينصره**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

وقوله ﷺ: «**دعوى أهل الجاهلية**» تسميته ﷺ ذلك دعوى الجاهلية، هو كراهة منه لذلك، فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية، وقوله: (فكسع أحدهما الآخر) أي: ضرب دبره وعجيزته بيد أو رجل أو سيف أو غيره، وقوله: «**فلا بأس**» معناه: لم يحصل من هذه القصة بأس مما كنت خفته.

انظر: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح صحيح مسلم» لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ (١٣٨/١٦).

(٢) رواه الترمذي (١٩٩٧) (٣٦٠/٤) في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض؛ «سنن الترمذي» لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبدالباقي (جـ ٣)، وإبراهيم =

(ومعنى: «أحبب حبيبك هوناً ما» أي: حباً مُقتصداً لا إفراط فيه، وإضافة (ما) إليه مفيد التقليل، بمعنى لا تسرف في الحب والبغض «عسى أن يكون بغيضك يوماً ما» وعسى هنا للإشفاق «وأبغض بغيضك هوناً ما» (ما) مثل ما سلف «عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» وعسى للترجي كـ (لعل)، والحديث إرشاد إلى الاعتدال في الأمور، وعدم المبالغة والغلو في الحب والبغض، وأن كلا طرفي قصد الأمور ذميم، والأمر هنا للندب، وقال الشاعر في معنى الحديث:

وأحبب إذا أحببت حبّاً مقارباً
فإنَّك لا تدري متى أنت رافع
وأبغض إذا أبغضت غير مباين
فإنك لا تدري متى أنت راجع)[1]

ومن مظاهر الوسطية التي تقدمت الإشارة إليها: الوسطية في الإنفاق بين الإسراف والتقتير، والوسطية في الدعاء والذكر والقراءة بين الجهر والإخفات[2].

= عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٣٩٥) (٣/٣٥٧)؛ «المعجم الأوسط» لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين، القاهرة. وصححه الألباني في (١٧٨) (١/٩٧)؛ «صحيح الجامع الصغير وزياداته» لأبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط المكتب الإسلامي.

(١) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» (١/٣٩٩، ٤٠٠).

(٢) انظر ما تقدم: (ص: ١٢، ١٣).

المبحث الثالث:

أسباب الغلو والتفريط ومعالجتها

من أهم العوائق في سبيل تحقيق الوسطية والاعتدال: الغلو، والتفريط، ولا يقل التفريط خطورة عن الغلو والإفراط؛ فكلاهما خروج عن الوسطية والاعتدال ومجانبة لصراط الله المستقيم الذي لا ينجو المسلم إلا بسلوكه واتباعه، ولا يمكن تحقيق الوسطية والاعتدال إلا بالبعد عن كل منهما ـ الغلو والتفريط ـ وذلك يستلزم التعرف على ماهيتهما وأسبابهما، وطرق النجاة منهما، وهذا ما سأتعرض له في هذا المبحث ـ إجمالاً ـ من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:
معنى الغلو والتفريط لغةً وشرعاً

○ أولاً: معنى الغلو:

الغلو لغةً: هو مجاوزة الحد المعتاد وتعديه؛ يقال: غلا في الأمر يغلو غلواً، أي: جاوز فيه الحد، وغلوت بالسهم غلواً: إذا رميت به أبعد ما تقدر عليه[1]، وغاليت الشيء

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (٦/٢٤٤٨).

وبالشيء، وغلوت فيه أغلو: إذا جاوزت فيه الحد[١].

قال ابن فارس ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلواً، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غلواً، إذا رمى به سهماً أقصى غايته»[٢].

والغلو شرعاً: التشدد ومجاوزة الحد في المشروع بالمبالغة والزيادة التي تخرجه عن حدِّ التوسط والاعتدال.

قال ابن الأثير ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: («والغلو في الدين» أي: التشدد فيه ومجاوزة الحد)[٣].

وقال ابن تيمية ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد، والأعمال، والغلو: مجاوزة الحدِّ بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك»[٤].

وقال ابن حجر ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وأما الغلو فهو المبالغة في

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لأبي السعادات المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط المكتبة العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي (٣/٣٨٢).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (٤/٣٨٧، ٣٨٨).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/٣٨٢).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م (١/٣٢٨).

الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق»[(١)].

وقد ورد عدد من النصوص التي تُحَذِّر صراحةً من الغلو وتنهى عنه، غير أن البحث ومجاله وحدوده لا يتسع لذكرها وبسط القول فيها[(٢)].

وبعد أن اتضح معنى الغلو لغة وشرعاً، يجدر بنا أن ننبه على أمر غاية في الخطورة، وهو الخلط بين الغلو في الدين والتمسك بالدين!!، وهذا ناتج عن عدم الفهم لمعنى الغلو وحقيقته.

فلا ينبغي الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء والبراء، ونحوها؛ كلها أصول معتبرة شرعاً بشروطها، وليست من الغلو ولا الإرهاب في شيء، والخلط والتجاوز في هذه الأصول من قبل البعض، والتنكر لها من بعض وسائل الإعلام

---

(١) «فتح الباري» (٢٧٨/١٣).

(٢) من هذه النصوص: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله جل وعلا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة: ٧٧]، وحديث: «**إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» رواه ابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٢٨٣)، وحديث: «**اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به، ولا تستكثروا به، ولا تجفوا عنه، ولا تغلو فيه**» رواه أحمد في «المسند» (١٥٥٣٥)، (٢٩٥/٢٤) وقال محققو المسند: «حديث صحيح».

والكتَّاب، يؤدي إلى استفزاز الناس، ويتذرع به أهل الفتنة والغلو.

○ ثانياً: معنى التفريط:

التفريط لغةً: التقصير، والتضييع، والترك، يقال: فرَّط في الأمر يفرِّط فرطاً، أي: قصَّر فيه وضيَّعه حتى فات[(١)]، وفَرَّطَ الشيءَ، وفرَّط فيه تَفْرِيطاً: ضَيَّعه، وقَدَّم العَجْز فيه[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[(٣)] أي: ضياعاً، وقال جل وعلا: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[(٤)] يعني: ضيَّعت وقصَّرت.

والتفريط شرعاً: التضييع والتقصير فيما وجب على الإنسان وكُلِّف به.

فالتفريط عكس الغلو ونقيضه، كما أنه عكس الإفراط، فالإفراط هو الإسراف ومجاوزة الحد، والزيادة على المشروع، يقال أفرط إفراطاً: إذا أسرف وجاوز الحدّ.

قال الجرجاني في التعريفات: «الفرق بين الإفراط والتفريط؛ أن الإفراط يستعمل في تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال، والتفريط يستعمل في تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير»[(٥)].

---

(١) «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (١١٤٨/٣).

(٢) «القاموس المحيط» لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م (ص ٦٨١)، و«لسان العرب» (٣٧٠/٧).

(٣) الكهف: ٢٨.

(٤) الزمر: ٥٦.

(٥) «التعريفات» لعلي بن محمد الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م (ص: ٣٢).

ومن مظاهر التفريط: تأخير الصلاة عن وقتها، وترك إنكار المنكرات، وإهمال تربية الأولاد، وترك الأخذ بالأسباب، والغلظة في المعاملة، والسلبية تجاه الاهتمام بواقع المسلمين.

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني: أسباب الغلو والتفريط

○ أولاً: أسباب الغلو:

أسباب الغلو كثيرة، وسأحاول إجمال معظمها في هذا المطلب، مقسِّماً إياها لقسمين، هما: أسبابٌ تتصل بذات الشخص (داخلية)، وأسباب تتصل بالجو العام المحيط بالشخص (خارجية).

(أ) أسبابٌ (داخلية) تتصل بذات الشخص:

١ ـ الجهل وضعف العلم الشرعي[(١)]، ويتفرع عن ذلك: جهل بالأولويات، وأدب الحوار، وضوابط الاختلاف؛ فالمتأمل لواقع أهل الغلو والتنطع والعنف يجد أنهم يغلب عليهم الجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية،

(١) قد يكون الجهل جهلاً بالدليل لعدم الاطلاع عليه سواء أكان آية أو حديثاً، وقد يكون جهلاً بطرق الاستنباط، لعدم المعرفة باللغة العربية أو القواعد الأصولية أو غيرها، وهذا السبب من أخف الأسباب المؤدية للغلو والتشدد؛ لأن علاجه ممكن بالعلم كما سيأتي قريباً.

فحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط، والأحكام المتسرعة، والمواقف المتشنجة، كما أن الرغبة في الطاعة والاجتهاد فيها مع الجهل بالسنة، ربما دفع للغلو والمبالغة والابتداع في الدين.

٢ ـ الابتعاد عن العلماء وجفوتهم، وترك التلقي عنهم، والتلقي عن دعاة السوء والفتنة والجاهلين، أو أخذ العلم على غير نهج سليم، أو من كتب يشوبها الانحراف والغلو، أو الاعتماد على النفس من أول الأمر في تحصيل العلم والمعرفة.

٣ ـ شدة الغيرة وقوة العاطفة لدى فئات من الشباب والمثقفين ـ وغيرهم ـ مع قلة الصبر وضعف الحكمة، وتدني مستوى العلم والفقه في الدين، فإذا انضاف إلى هذه الخصال: شيوع الفساد، والإعراض عن دين الله، والظلم، ومحاربة بعض مظاهر التدين لدى بعض المجتمعات، وفقدان الحوار الجاد؛ أدى كل ذلك إلى الغلو في الأحكام والمواقف.

والغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر محمود شرعاً، لكنَّ ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة، ومراعاة المصالح ودرء المفاسد، فإذا فقدت هذه الشروط أو بعضها أدى ذلك إلى الغلو والتنطع والشدة والعنف في معالجة الأمور، وهذا مما لا يستقيم به للمسلمين أمر لا في دينهم ولا في دنياهم.

٤ ـ اتباع الهوى المؤدِّي إلى التعسف في التأويل ورد النصوص، والتكوين النفسي والفكري المنحرف لبعض الغلاة، والظروف النفسية التي تكوَّن عليها وتأثر بها جموداً، أو زعامةً، أو حباً للشهرة ونحو ذلك، وينتج عن ذلك: التعالم والغرور،

والتعالي على العلماء والدعاة وطلبة العلم، فضلاً عن سائر الناس، واحتقارهم، ورؤية نفسه فحسب والاعتزاز بها، ويدفعه كل ذلك إلى أن يستقل بنفسه ورأيه فينتج عن ذلك الشذوذ في الآراء والمواقف والتصورات والتصرفات، وهكذا كان الخوارج الأولون يدَّعون العلم والاجتهاد، ويعتدون برأيهم وفهمهم فحسب، ويتطاولون على العلماء، وهم من أجهل الناس.

(ب) أسبابٌ (خارجية) تتصل بالجو العام المحيط بأهل الغلو:

هناك أسبابٌ خارجية تحيط بأهل الغلو والتشدد في مجتمعهم الذي يعيشون فيه، فالمتشدد لم يأت من السماء، وإنما هو جزء من مجتمع عاش فيه، ولهذا المجتمع في نفسه وتفكيره وعقله أعظم الأثر، فمثلاً: التطرف في الانحراف يؤدي إلى تطرف مقابل، سواء الانحراف الفكري أو الانحراف العملي، ومظاهر الرذيلة في المدرسة والجامعة والشارع والشاطئ والمتجر والحديقة والشاشة والإذاعة ـ وغير ذلك ـ إذا انتشرت في المجتمع وسكت عنها فإنها ستولد أنماطاً وصوراً مختلفة من الغلو والتطرف في ردها وإنكارها، وقل مثل ذلك في الأوضاع الثقافية والإعلامية، فمحاصرة فكرة من الأفكار وإغلاق منافذ التعبير أمامها هو سبب لأن تنتقل الفكرة بأصحابها إلى الغلو وربما المواجهة والسعي لإثبات الذات، وكذلك الأمر بالنسبة للأوضاع السياسية، فإن الكبت والتسلط والقهر لا يؤدي إلا إلى الغلو والتشدد، وإنني أستعرض أهم الأسباب الخارجية للغلو والتشدد على النحو التالي:

١ ـ تعطيل شرع الله في الأرض، والعلمنة الصريحة، وكثرة

البدع والعقائد الفاسدة، والإعراض عن منهج السلف، والتعلق بالشعارات والمبادئ الهدامة والأفكار المستوردة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير في القيام بذلك؛ فكل هذه الأمور وما في معناها، تثير غيرة الشباب المتدين، وحين لا يظهر السعي الجاد لتغيير الحال وإنكار المنكر، يلجأ إلى التصدي لهذه الانحرافات بلا علم ولا حكمة، وقد يلجأ للغلو بسبب ذلك.

ويدخل في ذلك: محاربة الدين والطعن فيه، والاستهزاء به وبتعاليمه، والسخرية من العلماء والصالحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، واضطهادهم وازدراؤهم، والطعن في السلف الصالح، وبالمقابل التمكين لأهل الفسق والفجور والإلحاد، مما يعد أعظم استفزاز لذوي الغيرة والاستقامة.

ويلحق بما سبق: فساد الإعلام، فالإعلام في العصر الحديث ـ في كثير من الأحيان ـ مطية الشيطان إلى كل فتنة وضلالة وبدعة وزندقة ورذيلة، وحرب للتدين وأهله، ولا شك أن هذا الوضع منكر عظيم ومكر كبّار، ويعد أعظم استفزاز يثير غيرة كل مؤمن وحفيظة كل مسلم، فإذا اقترن ذلك بشيء من قلة العلم والحلم والصبر والحكمة، وغياب التوجيه الشرعي السليم، أدَّى ذلك بالضرورة إلى الصَّلف والقسوة في الأحكام والتعامل، وإلى الإحباط والتشاؤم واليأس عند بعضهم، فيندفع إلى التغيير بعنف؛ فيقع في الغلو، ويجافي الوسطية والاعتدال.

٢ ـ انتشار الفساد وغياب العدالة، والتضييق على الحريات، وشيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله: ظلم الأفراد، وظلم الشعوب، وظلم الولاة وجورهم، وظلم الناس بعضهم لبعض، مما ينافي أعظم مقاصد الشريعة، وما أمر الله به وأمر به

رسوله ﷺ من تحقيق العدل ونفي الظلم، مما يُنمي مظاهر السخط والتذمر والحقد والتشفي في النفوس.

٣ ـ الجفوة بين العلماء والشباب، وبين الشباب والمسؤولين، وعدم الاهتمام بالتربية الحوارية؛ ففي كثيرٍ من بلاد المسلمين تجد العلماء (بعلمهم وحكمتهم وفقههم وتجاربهم) في معزل عن أكثر الشباب، وربما يُسيؤون الظن بالكثير منهم كذلك، وبالمقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء، وربما تكون سمعتهم في أذهان الكثيرين على غير الحقيقة، وبعض ذلك بسبب انحراف مناهج التربية لدى بعض الجماعات، وبسبب وسائل الإعلام المغرضة التي تفرق بين المؤمنين، مما أوقع بعض الشباب في الأحكام والتصرفات الجائرة والخاطئة التي لا تليق تجاه علمائهم، وتجاه حكامهم، وكذلك هناك حاجز نفسي كبير بين النخبة من الشباب، وبين المسؤولين، تجعل كُلّاً منهم يسيء الظن بالآخر، ولا يفهم حقيقة ما عليه الآخر إلا عبر وسائط غير أمينة غالباً، ومن هنا يفقد الحوار الذي هو أساس التفاهم والإصلاح.

٤ ـ تحكُّم الكافرين (من اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين) في مصالح المسلمين، وتدخلهم في شؤون كثيرٍ من البلاد الإسلامية، ومصائر شعوبها عبر الاحتلال المباشر والغير المباشر، والغزو الفكري والإعلامي والاقتصادي والسياسي، وغير ذلك من صور التحكم في مصائر المسلمين والحجر عليهم، تحت ستار المصالح المشتركة، أو المنظمات الدولية، ونحو ذلك مما تداعت به الأمم على المسلمين من كل حدب وصوب، بين طامع وكائد وحاسد؛ كل ذلك أدى إلى تذمر قطاعات كبيرة من

المسلمين، وشعور طوائف من شبابهم ومثقفيهم وأهل الغيرة منهم بالضيم والإذلال والإحباط، والنقمة على الواقع وأهله؛ وينتج عن ذلك ردود أفعال يتسم بعضها بالسخط والعنف والشدة.

٥ ـ الخلل في مناهج بعض الجماعات، وبعض أصحاب الدعوات المعاصرة، مع السكوت عن توضيح ذلك الخلل؛ فكثير من الدعوات المعاصرة تعتمد في مناهجها على الشحن العاطفي، وتربي أتباعها على مجرد أمور عاطفية وغايات دنيوية ـ سياسية، واقتصادية، ونحوها ـ وتحشو أذهانهم بالأفكار والمفاهيم التي لم تؤصَّل شرعاً، والتي تؤدي إلى التصادم مع المخالفين بلا حكمة، وفي الوقت نفسه تقصِّر في أعظم الواجبات، فتنسى الغايات الكبرى في الدعوة، من غرس العقيدة السليمة، والفقه في دين الله تعالى، والحرص على الجماعة، وتحقيق الأمن، والتجرُّد من الهوى والعصبية، وفقه التعامل مع المخالفين ومع الأحداث والمستجدات، وفق قواعد الشرع.

٦ ـ تصدُّر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، مع قلة التجارب، وضعف الخبرات، والغيرة غير المتزنة؛ (عواطف بلا علم ولا فقه ولا حكمة) فعندما يتصدر هؤلاء الأحداث للفتوى والاجتهاد قبل الاستواء والنضج، يفتون بغير علم، ويحكمون في الأمور بلا فقه، ويواجهون الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه، أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو بالجبن أو المداهنة أو العمالة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك!، ونحو ذلك مما

يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم ومن اعتبارهم، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم.

٧ ـ قِلَّةُ العلماء الذين يضبطون الفكر والتصور والسلوك، وعدم التمكين لهم في معظم الأحيان؛ فقد تَسَبَّبَ ذلك في تصدر الأحداث والجهال الذين يدفعهم جهلهم وحداثة سنهم للغلو والتطرف والتشدد.

٨ ـ البيئة الغالية المتشددة، فالمرء يتأثر ببيئته، والصاحب ساحب، ومن تربى بين أظهر المتشددين والغلاة تشدَّد وغالى ولا بد.

٩ ـ سياسة القمع والاضطهاد والقتل والاعتقالات والتعذيب داخل السجون والمعتقلات، والتي تمارسها بعض الأنظمة تجاه بعض الإسلاميين، فهذا يؤدي قطعاً إلى ظاهرة الغلو والتشدد، لاسيما ممن اعتقلوا أو عذبوا بلا ذنب ولا جريرة.

هذه هي معظم الأسباب التي تؤدي إلى الغلو والتطرف والعنف والتشدّد، فإذا توافرت هذه الأسباب ونحوها أو أكثرها، مهَّد هذا لظهور الغلو والتنطع، لاسيما إذا انضاف إلى هذه الأسباب تقصير الولاة، وغفلة العلماء، وطلاب العلم، والدعاة، والمربين، والآباء، والمتصدِّرين؛ عن معالجة هذه الأسباب في وقت مبكر.

○ ثانياً: أسباب التفريط:

لا يقل التفريط خطورة عن الغلو والإفراط، فكلاهما ـ أي: التفريط والغلو ـ خروج عن الوسطية والاعتدال، ومجانبة لصراط الله المستقيم الذي لا ينجو المسلم إلا بسلوكه واتباعه.

ويبدو خطر التفريط واضحاً في كونه عين العجز والكسل، ولا يتحقق به أمر الله كما أراده سبحانه وتعالى، وأنه يقطع الإنسان عن كثير من الأجور والدرجات، فقد يخرجه من دائرة أولياء الله الصالحين، وقد يعرِّضه للوعيد والعقوبة، وقد يجره إلى الضلال والانحراف والعياذ بالله.

ومنشؤ التفريط غالباً: التساهل والتهاون، وأبرز أسبابه: الجهل، والعجز، والكسل.

قال الحافظ ابن حجر ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والفرق بين العجز والكسل أن الكسل ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله، والعجز عدم القدرة»[(١)].

والعجز والكسل ناتجان من إيثار العاجلة ونسيان الآخرة، وهما من أنواع الظلم، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ منهما، لما لهما من آثار سيئة على الفرد والمجتمع[(٢)].

وأما الجهل: فداءٌ عضال، ومرضٌ فتاك، وسبب معظم الشرور، فما من مصيبة ولا بلية إلا والجهل ـ غالباً ـ سبب من أسبابها؛ والجهل بمراتب الأعمال وفضائلها وأبواب الحسنات وطرائقها سبب من أسباب تركها والتفريط فيها.

وقد يكون السبب في التفريط: الاستجابة لضغط الواقع،

---

(١) «فتح الباري» (٦/٣٦).

(٢) سيأتي ذكر الحديث وتخريجه في الكلام على علاج التفريط بإذن الله تعالى (ص٥١).

أو الهروب من تهمة التطرف والغلو، ونحو ذلك مما يعتبر إفرازاً لانحراف في المنهج، ومظهراً من مظاهر الانحراف في الفهم.

❋ ❋ ❋

المطلب الثالث:
علاج الغلو والتفريط:

لا شك أن علاج هاتين الظاهرتين ـ الغلو، والتفريط ـ لن يكون حاسماً وفعَّالاً إلا بإزالة أسبابهما، إذ لا يعقل أن تترك أسبابهما مع الأمل في زوالهما أو علاجهما، ولإزالة أسبابهما فهناك طرق ووسائل لا بد من اتباعها، وإنني ألخص أهم طرق العلاج ووسائله فيما يلي:

○ أولاً: علاج الغلو:

١ ـ الاهتمام بنشر العلم الشرعي وتيسير وسائل تحصيله، وبذله في كل مكان وكل زمان وبكل وسيلة ممكنة، فقد ذكرت أن من أسباب الغلو والتشدد: الجهل وضعف العلم الشرعي، والجهل يزول بالعلم، فتعليم أحكام الإسلام وتعاليمه وشرائعه، ووسطيته ويسره وسماحته لجماهير الناس ـ بوجه عام ـ، والشباب المتدين والعاملين في المجال الدعوي والتعليمي ـ كرجال الحسبة والمعلمين والمعلمات وأئمة المساجد بوجه خاص ـ، كفيلٌ بإذن الله ـ جل وعلا ـ بعلاج الغلو لدى الكثيرين منهم، وتخفيف حدته وآثاره على من بقي فيه شيء من الغلو.

ويدخل في نشر العلم الشرعي دخولاً أولياً: إيجاد القنوات العلمية والدعوية والإعلامية التي يمكن للدعاة إلى الله ﷻ من خلالها عرض الصورة الصحيحة للإسلام، وتنقيته من الدخيل عليه، وتعريف الناس بدينهم الحق، أما مجرد الخطب الرنانة التي ينقضها الواقع فإنها لن تغير شيئاً، حتى الاتجاهات التي يصاحبها نوع من الحدة أو الشدة يجب أن تحاور وتناقش في الهواء الطلق، وإذا لم تعرض الدعوة الإسلامية الصحيحة الناضجة من الكتاب والسنَّة فإن البديل عن ذلك أمران:

أ ـ شيوع المنكر الفكري والخلقي بلا نكير، وهذا يؤدي إلى التطرف والغلو والعنف كما سبق بيانه.

ب ـ الدعوات المنحرفة التي ستجد آذاناً صاغية، فإن الناس إذا لم يعرفوا الحق تشاغلوا بالباطل.

كما يدخل في نشر العلم والتعليم: تمكين العلماء الربانيين من القيام بواجبهم، وفتح كافة السبل لكلمتهم، والسماح بمرورها إعلامياً، وأن يشكل العالم الشرعي مرجعية حقيقية للجميع: الحاكم، والمحكوم، على حد سواء؛ لأن العلماء الربانيين هم صمام الأمان لهذه الأمة حكاماً ومحكومين، وبوجودهم وانتشار علمهم يندحر الغلو والتطرف، أو يتقزَّم وتضعف آثاره ومخاطره ـ على أقل تقدير ـ.

ويدخل في نشر العلم وعلاج الجهل: ربط مناهج التعليم بدين الأمة وأخلاقها وقيمها ومبادئها، ليتخرج جيل مؤمن يعرف ربه ودينه، ويوالي أمته ويعادي أعداءَها، وهذا العلم الصحيح

المرتبط بقيم الأمة ومبادئها هو أعظم حصانة من الغلو والتشدد والتطرف.

٢ ـ الإنكار على الغلاة والمتشددين وردُّ مظاهر الغلو

ـ حتى وإن بانت صغيرة في بدايتها ـ، فإن السكوت عن تلك المظاهر يجعلها تكبر وتنتشر وتتعمق في الأمة، وقد كان النبي ﷺ ينكر كل بادرة غلو، وينهى عن ذلك أشد النهي، كما في قصة النفر الثلاثة الذين عزموا على الصيام والقيام وترك الزواج تعبداً لله تعالى[(١)]، وكما في تنفيره من المتنطعين والإخبار بهلاكهم[(٢)]، ويُنَكِّل بمن واصلوا معه في الصيام، وقد نهاهم عنه، ليرتدعوا[(٣)]، وما ذاك إلا لأن الغلو شطط وانحراف وبُعْدٌ عن الصراط المستقيم.

---

(١) تقدم تخريجه: (ص: ١٦).

(٢) تقدم تخريجه: (ص: ١٨).

(٣) روى البخاري (١٩٦٥) (٣/٣٧) كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، ومسلم (١١٠٣) (٢/٧٧٤) كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم؛ عن أبي هريرة ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم» فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: «**وأيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**»، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً، ثم يوماً، ثم رأوا الهلال، فقال: «**لو تأخر لزدتكم**» كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا. ومعنى (أبوا) أي: رفضوا الامتناع عن الوصال لأنهم فهموا من النهي التنزيه لا التحريم، و(رأوا الهلال) الظاهر أنه هلال شوال، و(**لزدتكم**) أي: في الوصال إلى أن تعجزوا عنه فتطلبوا التخفيف بتركه، و(كالتنكيل لهم) أي: خاطبهم بهذا على وجه الزجر لهم والتحذير من التشديد على أنفسهم في دين الله تعالى.

ويدخل في ذلك الإنكار: مناقشة الأفكار والحجج والشبهات التي يتذرع بها أهل الغلو، وتفنيدها والرد عليها، وتنبيه الناس إلى فسادها لئلا يغتروا بها، ويفضل أن يكون الإنكار من خلال الحوار المباشر مع الغلاة والمتشددين ـ مُنظِّرين ومتبوعين ـ، لأنهم في غالبهم من المتدينين ذوي العاطفة والغيرة والحماس، لكن ينقصهم الفقه الصحيح والحكمة والبصيرة بمقاصد الشريعة وضوابطها، ورجوعهم إلى الوسطية والاعتدال مأمولٌ ومرجوٌ، لاسيما مع قوة حجة المُحَاوِرُ، وحسن بيانه، وحرصه على ردِّهم إلى صراط الله المستقيم.

ولهذا كان كثير من الخوارج الأوائل يرجعون عن بدعتهم بالمناظرة، بل رجع منهم على يد عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لمَّا أرسله علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمناقشتهم ـ رجع منهم في مجلس واحد ـ أكثر من أربعة آلاف إنسان، وناظر عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ دعاة القدرية والخوارج حتى ظهر لهم الحق وأقروا به، ثم بعد موته نقض غيلان القدري التوبة فصلب[1].

ويدخل في الإنكار على الغلاة وردِّ مظاهر الغلو: توجيه رسائل وبحوث علمية مؤصلة، تُطرح بكل الوسائل المتاحة وبلغات متعددة، وتكون من متخصصين جديرين، وتعالج القضايا الكبرى بأسلوب ميسر، والإكثار من الندوات والدورات والمحاضرات واللقاءات في علاج الغلو، وأن تبث هذه الفعاليات وغيرها من البرامج التي تعالج الغلو وتجيب عن شبهاته؛ في الإعلام المسموع والمقروء والمرئي وعبر الإنترنت ووسائل التواصل الحديثة.

---

(١) يُنظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣/ ٢٤٠).

٣ ـ إصلاح أوضاع المجتمع بحيث لا يجاهر فيه بما يخالف شرع الله تعالى، لا في مناهجه الدراسية، ولا في صحفه القومية، ولا في طرقاته ونواديه، ولا في أجهزته الإعلامية بكافة أشكالها وأنواعها، فلابد من تنقية المجتمع بكافة مؤسساته ومرافقه من كل ما يخالف الإسلام عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً، ولابد من منع أصحاب الفكر المنحرف من التسلل إلى الإعلام، ومنع المساس بالدين وأهله في كافة وسائل الإعلام مرئية ومقروءة ومسموعة، كما يجب العمل على حماية أخلاق المجتمع وقيمه ومبادئه الإسلامية، ودعم المؤسسات الإصلاحية القائمة على حماية الآداب والأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكما يوجد جهاز مختص لمكافحة المخدرات فإنه يجب أن توجد أجهزة قوية مُمَكَّنة وذات صلاحية واسعة أيضاً في مكافحة ألوان الجرائم التي لا يقرِّها الشرع ـ لاسيما الجرائم الأخلاقية ـ ومعاقبة من تسوِّل له نفسه المساس بدين الأمة وثوابتها الدينية والعقدية والأخلاقية والاجتماعية، وبدون حصول ذلك فلا يمكن أن نتوقع إلا غلواً مضاداً وعنفاً وتشدداً في مقابل هذا التسيب في محاربة دين الأمة وثوابتها.

٤ ـ تحقيق العدل، ورفع الظلم، ونصرة المظلوم، والوقوف في وجه الظالم، وإعطاء كل ذي حق حقه، سواء أكانت هذه الحقوق حقوقاً مالية، أو حقوقاً شخصية، أو سياسية، أو غير ذلك، فإن المجتمعات لا يمكن أن تقوم على الظلم، والله تعالى ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، والظلم هو أكبر محرك للعنف والتطرف والغلو، وبمحاربته والقضاء عليه نقضي

ـ بإذن الله تعالى ـ على كثير من مظاهر العنف والغلو والتشدد.

٥ ـ كسر الفجوة الموجودة بين العلماء ومعظم الشباب؛ أن يفتح العالم باب قلبه وباب بيته للشباب، وأن ينزل لمستوى فكرهم وبيئتهم ومحيطهم، وأن يتألفهم ويحاورهم ويجيب عما يخالط نفوسهم من إشكالات وشبهات، ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم، فغالب الشباب الذين وقعوا في الغلو والتشدد والتطرف، إنما وقعوا بسبب انشغال العلماء عنهم، والفجوة الموجودة بينهم، فلما لم يجد الشباب العلماء بينهم، انصرف كثيرون منهم إلى الفضائيات والإنترنت ودعاة السوء والفتنة والتيارات المعادية، ووقعوا في شرك الغلو والتطرف.

٦ - السماح لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم، والجمعيات الخيرية، والمؤسسات التطوعية، والأندية والمراكز الصيفية، والمؤسسات الشبابية، بالعمل والتوسع في فتح فروعها في كافة الأماكن، مع مراقبة أدائها وتوجيهه بما يتوافق مع ثوابت الأمة وقيمها ومبادئها، وذلك لأن هذه الجمعيات والمؤسسات والأندية تستوعب كثيراً من طاقات الشباب، وتسد فراغهم، وتمتص كثيراً من جهدهم ونشاطهم، وتبعدهم عن أي مصدر آخر قد يصل بهم إلى الغلو والتشدد والتطرف.

○ ثانياً علاج التفريط:

تقدمت الإشارة إلى خطورة التفريط وأنها لا تقل عن خطورة الغلو والإفراط، كما تقدم بيان أسبابه، وأنها لا تخرج عن خمسة أسباب، وهي: العجز، والكسل، والجهل،

والاستجابة لضغط الواقع، والهروب من تهمة التطرف والغلو.

فأما علاج الجهل، فبطلب العلم بكافة وسائله المتاحة والممكنة، من الكتب وأشرطة الكاسيت، والإنترنت ووسائل التواصل الحديثة، وغيرها من الوسائل الكثيرة، وأفضلها وأكثرها فائدة وعمقاً: الطلب المباشر من المشايخ والعلماء في حلق الذكر ومقاعد الدراسة.

وأما علاج العجز والكسل فبالحذر منهما، وتربية النفس على النشاط وعلو الهمة، وأداء الواجبات في أوقاتها وعدم التسويف، وتعويد النفس على النظام والثبات في أداء الأعمال والمداومة عليها، وسؤال الله تعالى علو الهمة، والتعوذ به سبحانه من الكسل والعجز، والرغبة فيما عند الله من الثواب، والرهبة من عقابه وعذابه.

هذا هو العلاج بإجمال شديد، وإليك بعض البيان لذلك العلاج بإيجاز أيضاً:

فمن الأمور التي تعالج الكسل والعجز وتحاربه:

* معرفة ثواب أداء الفرائض وثواب الأعمال الصالحة ومراتبها، وطرائق كسب الحسنات، وعقوبات ترك الفرائض، وما يترتب على ترك الأعمال الصالحة من تدني الدرجات، وعلى ترك الفرائض من الوقوع في الدركات والعياذ بالله تعالى، فرجاء ثواب الله وخوف عذابه وعقابه مما ينشط العبد للعمل، ويدفعه للعبادة، ويبعده عن الكسل والخمول والعجز.

* ولا بد من همة عالية، وعزم ماضٍ ينهضان به عن مستنقعات الكسل، ويسموان به عن العجز والفتور.

* ومن أقوى وأعظم ما يعالج به العجز والكسل: الاستعانة بالله تعالى والالتجاء إليه، وطلب المعونة منه، والاستعاذة به من العجز والكسل، فكل ما في هذا الكون طوع إرادته، وأنت عبد من عباده، وأمرك بين يديه، ولو شاء أن يجعلك على الجادة والنشاط في الطاعة في لحظة لفعل، فالهج بدعائه وذكره، واصدق في التضرع إليه سبحانه أن يصرف عنك العجز والكسل، وهو بإذن الله لن يخيب رجاك، ومن أدام قرع الباب أوشك أن يفتح له ويلجه.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: **«اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من عذاب القبر»**[(١)].

(١) رواه البخاري (٢٨٢٣) (٤/٢٣) كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، ومسلم (٢٧٠٦) (٤/٢٠٧٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

و(العجز): هو عدم القدرة على فعل الخير والطاعة، و(الكسل): عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة فيه، مع إمكان فعله. و(الهرم) كبر السِّن الذي يؤدِّي إلى ضعف القوى والأعضاء، و(فتنة المحيا) الاشتغال بزخرف الدنيا عن الآخرة و(فتنة الممات) سوء الخاتمة عند الموت. وقوله ﷺ: «وأعوذ بك من العجز والكسل»: يحتمل أن يكون العجز على ظاهره من عدم القدرة. وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، =

* مجاهدة النفس في العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أمراً ونهياً، واتباع سنة النبي ﷺ وهديه، وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿...وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ

= ويحتمل أن يريد به عمل الطاعات، ويحتمل عموم أعمال الدنيا والآخرة، والكسل يكون بهذا المعنى. وقيل: هو فترة تقع بالنفس تثبط عن العمل.

واستعاذ النبي ﷺ منهما؛ لأنهما يمنعان من أداء الحقوق والمسارعة إلى الخيرات، وترك الاكتساب للعيال، وداعيه إلى الحاجة إلى الناس، واستعاذته ﷺ من (الهرم) وأن يرد إلى أرذل العمر؛ لما فيه من الخوف، واختلال الحواس والعقل، وعدم العلم، وتشويه النظر، والعجز عن أداء الطاعات، وربما أدى ذلك إلى التساهل فيها، ويعذر نفسه بتركها.

واستعاذته ﷺ من (الجبن) فلما فيه من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالته المنكر، والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس ينصر المظلوم ويجاهد في سبيل الله.

فاستعاذته ـ عليه السلام ـ من جملة هذه الأشياء ليكمل حاله في كل حين وشرعه تعليمه لأمته الاستعاذة منها، وسؤالاً لله تعالى ألا يغير ما به من نعمة، ودليل على جواز الدعاء بما يشاء العبد على التفصيل والجملة.

انظر: «شرح صحيح مسلم = إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (المتوفى: ٥٤٤هـ) تحقيق: د يحيى إسماعيل، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م (٨/٢٠٢، ٢٠٣).

(١) العنكبوت: ٦٩.

وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

* مصاحبة أهل الخير الذين يرشدون إلى الطاعة ويرغبون فيها، والذين ينشطون لفعل الخير ويعينون عليه، والبعد عن قرناء السوء من أصحاب المعاصي، ومن الكسالى الذين لا ينهضون لفعل الخيرات ولا يعينون عليها؛ فالصاحب ساحب، والمرء على دين خليله، والمرء يتأثر ببيئته وبمن يصاحبه.

وقد قال الله جل وعلا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[4].

ونظم أحد الشعراء هذا المعنى، فقال:

---

(١) النساء: ٦٦ ـ ٧٠.

(٢) الزخرف: ٦٧.

(٣) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٤) رواه أحمد (٨٤١٧) (١٤/١٤٢) وقال محققو «المسند»: «إسناده جيد»؛ «المسند» لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، ورواه الترمذي (٢٣٧٨) (٤/٥٨٩) في أبواب الزهد، وقال: «حديث حسن غريب».

عـن الـمـرء لا تـسـأل وسـل عـن قـريـنـه
فـكـل قـريـن بـالـمـقـارَن يـقـتـدي

* ومما يُتخلَّص به من العجز والكسل: المداومة على العمل الصالح، ولو كان قليلاً، فقليل دائم خير من كثير منقطع، وينبغي على المرء ألا يترك الحد الأدنى مما يستطيع فعله لئلا تتعوَّد نفسه على الكسل، ومن هنا حثت الشريعة على المداومة والاستمرار على العمل ولو كان قليلاً.

فعن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «أدومه وإن قل»[(١)].

(١) رواه مسلم (٧٨٢) (١/٥٤١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

الخاتمة

وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات

* **الوسطية هي:** الخيرية والعدالة، والتوسط بين الغلو والإفراط والجفاء والتفريط، وهي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة، والاعتدال هو: التزام المنهج العدل الوسط، والاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية، وهو بهذا يرادف الوسطية التي ميّز الله بها هذه الأمة.

* النصوص الشرعية مليئة بالدعوة إلى الوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو والجفاء، والحث على القصد وملازمة الاستقامة.

* تتجلى مظاهر الوسطيّة والاعتدال في الإسلام في كافة أحكامه وتشريعاته، ومن ذلك: (الوسطية في الاعتقاد، والوسطية في العبادة، والوسطية في المجال الاقتصادي، والوسطية في التعامل مع الناس).

* الغلو هو التشدد ومجاوزة الحد في المشروع بالمبالغة والزيادة التي تخرجه عن حدِّ التوسط والاعتدال.

* يجب التفريق بين التمسك بالدين والسنة (وهو حق)،

وبين الغلو والتشدد (وهو باطل)، ولا ينبغي الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاء والبراء، ونحوها؛ كلها أصول معتبرة شرعاً بشروطها، وليست من الغلو ولا الإرهاب في شيء، والخلط والتجاوز في هذه الأصول من قبل البعض، والتنكر لها من بعض وسائل الإعلام والكتَّاب، يؤدي إلى استفزاز الناس، ويتذرع به أهل الفتنة والغلو.

* التفريط هو التضييع والتقصير فيما وجب على الإنسان وكُلِّف به، وهو عكس الإفراط والغلو، ولا يقل التفريط خطورة عن الغلو والإفراط، فكلاهما خروج عن الوسطية والاعتدال، ومجانبة للصراط المستقيم.

* الوصول للوسطية يكون بعلاج ظاهرتي الغلو، والتفريط، ولن يتم ذلك إلا بإزالة أسبابهما، إذ لا يعقل أن تترك أسبابهما مع الأمل في زوالهما أو علاجهما.

* أسباب الغلو كثيرة، وهي تنقسم إلى أسباب (داخلية) تتصل بذات الشخص، وأسباب (خارجية) تتصل بالجو العام المحيط بالشخص؛ وأبرز الأسباب الداخلية هي: (الجهل وضعف العلم الشرعي، والابتعاد عن العلماء وجفوتهم وترك التلقي عنهم، وضيق العطن، وقصر النظر، وقلة الصبر، وضعف الحكمة، واتباع الهوى، والتكوين النفسي والفكري المنحرف لبعض الغلاة).

وأبرز الأسباب الخارجية: تعطيل شرع الله في الأرض، ومحاربة الدين والطعن فيه، والاستهزاء به وبتعاليمه، وفساد

الإعلام، وانتشار الفساد وغياب العدالة، والتضييق على الحريات، وشيوع الظلم بشتى صوره وأشكاله، والجفوة بين العلماء والشباب، وتحكُّم الكافرين في مصالح المسلمين، والخلل في مناهج بعض الجماعات وبعض أصحاب الدعوات المعاصرة مع السكوت عن توضيح ذلك الخلل، وتصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام، وقِلَّةُ العلماء الذين يضبطون الفكر والتصور والسلوك، والبيئة الغالية المتشددة.

* أعظم أسباب الغلو والتشدد هو الغلو المعاكس في رفض بعض مظاهر التدين، أو التساهل في الدين والإعراض عنه، ولعلاج الغلو فلا بدَّ أولاً من علاج الغلو المضاد في رفض الدين ومحاربته والاستهزاء به والطعن فيه، وبدون ذلك لا يمكن أن نعالج قضية الغلو والتشدد.

* الغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر محمود شرعاً، لكنَّ ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة، ومراعاة المصالح ودرء المفاسد، فإذا فقدت هذه الشروط ـ أو بعضها ـ فربما أدت هذه الغيرة إلى الغلو والتنطع والشدة والعنف في معالجة الأمور، وهذا مما لا يستقيم به للمسلمين أمر لا في دينهم ولا في دنياهم.

* أبرز أسباب التفريط هي: الجهل، والعجز، والكسل، والاستجابة لضغط الواقع، والهروب من تهمة التطرف والغلو.

* علاج الغلو يكون بأمور، أبرزها: الاهتمام بنشر العلم الشرعي وتيسير وسائل تحصيله، وربط مناهج التعليم بدين الأمة وأخلاقها وقيمها ومبادئها، والإنكار على الغلاة والمتشددين،

وردُّ كل مظاهر الغلو، وإصلاح أوضاع المجتمع بحيث لا يجاهر فيه بما يخالف شرع الله تعالى، وتحقيق العدل، ورفع الظلم، وإعطاء كل ذي حق حقه، وكسر الفجوة الموجودة بين العلماء ومعظم الشباب، والسماح لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم، والجمعيات الخيرية، والمؤسسات التطوعية والشبابية بالعمل والتوسع في فتح فروعها.

* علاج التفريط يكون بطلب العلم الشرعي بكافة وسائله المتاحة والممكنة، والحذر من العجز والكسل، وتربية النفس على النشاط وعلو الهمة، وأداء الواجبات في أوقاتها وعدم التسويف، وتعويد النفس على النظام، والثبات في أداء الأعمال والمداومة عليها، وسؤال الله تعالى علو الهمة، والتعوذ به سبحانه من الكسل والعجز، والرغبة فيما عنده من الثواب، والرهبة من عقابه وعذابه.

هذا ما يسره الله لي من الإعداد والترتيب لهذا البحث، فما كان فيه من حق وصواب فمن الله جل وعلا وحده، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن يجعلنا من أهل الاستقامة والوسطية والاعتدال، وأن يجنبنا الغلو والشطط في الفهم والعلم والعمل.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١ ـ ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، (ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٢ ـ ابن بطال، أبو الحسين علي بن خلف بن عبدالملك، (ت٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

٣ ـ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحنبلي الدمشقي، (ت٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، (بيروت: دار عالم الكتب، ط٧، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

٤ ـ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحنبلي الدمشقي، (ت٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

٥ ـ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، وإشراف محب الدين الخطيب، وتعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، (بيروت: ط دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

٦ ـ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٧ ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، (ت٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٨ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي، (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

٩ ـ أحمد شعيب، د. محمد مصطفى، **بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي دراسة مقارنة لأبرز القضايا المالية المعاصرة**، (مجموعة توارث للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٥هـ).

١٠ ـ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١١ ـ الأمير الصنعاني، أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل، (ت١١٨٢هـ)، **التنوير شرح الجامع الصغير**، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، ا(لرياض: مكتبة دار السلام، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

١٢ ـ البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، (القاهرة: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).

١٣ ـ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

١٤ ـ الجرجاني، علي بن محمد، (ت٨١٦هـ)، **التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

١٥ ـ الجوهري، أبو نصر إسماعيل الفارابي، (ت٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١٦ ـ السبتي، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) «**شرح صحيح مسلم = إكمال المُعلِم بفوائد مسلم**»، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط١، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

١٧ ـ الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي، (ت٧٩٠هـ)، **الموافقات**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (الرياض: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

١٨ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

١٩ ـ الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله، (ت٧٤٣هـ)، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ «الكاشف عن حقائق السنن**، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، (مكة المكرمة، والرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٢٠ ـ الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٢١ ـ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
التمهيد	٧
المطلب الأول: معنى الوسطية لغة وشرعاً	٧
المطلب الثاني: الاعتدال لغة وشرعاً	٩
المبحث الأول: دعوة النصوص الشرعية إلى الوسطية والاعتدال	١١
المطلب الأول: بعض نصوص القرآن في الوسطية	١١
المطلب الثاني: بعض نصوص السنة في الوسطية	١٦
المبحث الثاني: بعض مظاهر الوسطية والاعتدال في الإسلام ..	٢٢
المطلب الأول: الوسطية في مجال الاعتقاد	٢٣
المطلب الثاني: الوسطية في مجال العبادة	٢٤
المطلب الثالث: الوسطية في المجال الاقتصادي	٢٧
المطلب الرابع: الوسطية في التعامل مع الناس	٢٨
المبحث الثالث: أسباب الغلو والتفريط ومعالجتها	٣٢
المطلب الأول: معنى الغلو والتفريط لغةً وشرعاً	٣٢
أولاً: معنى الغلو	٣٢
ثانياً: معنى التفريط	٣٥
المطلب الثاني: أسباب الغلو والتفريط	٣٦

الموضوع	الصفحة
أولاً: أسباب الغلو	٣٦
ثانياً: أسباب التفريط	٤٢
المطلب الثالث: علاج الغلو والتفريط	٤٤
أولاً: علاج الغلو	٤٤
ثانياً: علاج التفريط	٤٩
الخاتمة	٥٥
قائمة بأهم المصادر والمراجع	٥٩
الفهرس	٦٣